

نهج البلاغة مصدر إلهام الحضارة الإسلامية

محمدجعفر أشكوارى*^١، آيت الله زرمحمدى^٢

تأريخ القبول: ١٤٤٣/٠١/٠١

تأريخ الاستلام: ١٤٤٢/١٠/٢٨

١. أستاذ مساعد في تأريخ و حضارة الأمم الإسلامية، جامعة زنجان، زنجان، إيران

٢. أستاذ مساعد في تأريخ و حضارة الأمم الإسلامية، جامعة زنجان، زنجان، إيران

Nahj-ul-Balagha the source of inspiration for Islamic civilization

Muhammad Jafar Ashkevari*¹, Ayatollah Zarmohammadi²

Received: 2021/06/06

Accepted: 2021/08/10

1. Assistant Professor of History and Civilization of Islamic Nations, Zanjan University, Zanjan, Iran
2. Assistant Professor of History and Civilization of Islamic Nations, Zanjan University, Zanjan, Iran

10.30473/ANB.2021.44696.1117

Abstract

The study and research of Islamic civilization, which is one of the most important historical periods, is possible only by identifying and explaining its pillars. Islamic civilization is based on several pillars, which include the Holy Qur'an, the Prophetic tradition, the Alawite teachings, the sciences and civilizations of other nations, and finally initiative and innovation. This period of historiography has unique features such as: monotheism, rationalism, humanism, tolerance, striving for a balance between materialism and spirituality. One of the important foundations in the formation of the state and the continuation of civilization in the context of Islam is the Alawite teachings. One of the sources of these teachings is Nahj-ul-Balagha, in which various solutions have been stated for the establishment of the Islamic state, which is necessary for Islamic civilization, and the proper management of society based on scholastic and human principles, and the characteristics of Islamic civilization in various individual and social fields have been explained. The present study seeks to explore the characteristics of Islamic civilization from the perspective of Nahj-ul-Balagha in a descriptive-analytical manner. The findings of this article indicate that the sermons, letters, political and moral orders of Imam Ali (AS) in Nahj-ul-Balagha have characteristics such as monotheism, social and economic justice, meritocracy and pious management, social and political participation of the people is vital to establish Islamic civilization.

Keywords: Islamic Civilization, Nahj-ul-Balagha, Indicators of Civilization, Monotheism, Justice, Social Participation..

الملخص

لا يمكن دراسة الحضارة الإسلامية، وهي من أهم الفترات التاريخية، إلا من خلال تحديد وشرح دعائمها. فتقوم الحضارة الإسلامية على عدة أركان، منها القرآن الكريم، والحديث النبوي، وتعاليم الأئمة المطهرين، وعلوم وحضارات الأمم الأخرى، وأخيراً الإبداع والابتكار. فتتميز هذه الفترة من التأريخ بسمات فريدة مثل: التوحيد، والعقلانية، والإنسانية، والتسامح، والسعى لتحقيق التوازن بين المادية والروحانية. وتعدّ التعاليم العلوية من الأسس المهمة في تكوين الدولة واستمرار الحضارة في الطريق الإسلامي. ويحتسب نهج البلاغة من مصادر هذه التعاليم السامية، وفيه تم تقديم حلول مختلفة لإقامة الدولة الإسلامية، وهو أمر ضروري للحضارة الإسلامية، والإدارة السليمة للمجتمع على أسس مدرسية وإنسانية، وقد تم إيضاح معالم الحضارة الإسلامية في مختلف المجالات الفردية والاجتماعية. فتسعى الدراسة الحالية إلى استكشاف ميزات الحضارة الإسلامية من منظور نهج البلاغة بطريقة وصفية تحليلية. وتشير نتائج هذا المقال إلى أن خطب الإمام على (ع) وتوجيهاته السياسية والأخلاقية في نهج البلاغة تعرّفنا إلى الميزات التي لها دور حيوي في تأسيس الحضارة الإسلامية مثل التوحيد، والعدالة الاجتماعية والاقتصادية، وحكم الجدارة، والإدارة القائمة على التقوى، والمشاركة الاجتماعية والسياسية للشعب.

الكلمات الدلالية: الحضارة الإسلامية، نهج البلاغة، الميزات الحضارية، التوحيد، العدالة، المشاركة الاجتماعية.

المقدمة

أحد المكونات المؤثرة في خلق الحضارة الإسلامية وتطورها، وهو العدل، تمت مناقشته، والتي في الدراسة الحالية تم فحص مكونات أخرى. في مقال بعنوان "خصائص الحكم والحضارة الإسلامية من منظور أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة"^٢ يناقش المقال خصائص الحكومة الإسلامية وأساليب تحقيق السعادة في الحكومة الإسلامية. وفي مقال "مُثل الحكم من منظور الإمام علي (ع)"^٣ صنف أهداف ومُثل الحكم من منظور الإمام علي (ع) في نهج البلاغة إلى قسمين عام وجزئي. لذلك لا بد من دراسة نهج البلاغة كأحد الأسس النظرية والمصدر الملهم للحضارة الإسلامية التي تناولت دراستها الحالية مكوناتها المؤثرة.

نهج البلاغة وقدرات الحضارة

الحضارة فهذه الكلمة، المشتقة من الكلمة العربية المدنية، تعادل الكلمة العربية الحضارة (من أصل الوجود والتجمع) (ديكسون، ١٩٨٠: ٦). عادل كلمة (civilization) من الأصل اللاتيني (civitas) وتعنى الاستقرار في المدينة والبقاء فيها (نصر، ١٣٨٤: ٢٤٢). في الفارسية والحضارة كلمة يمكن العثور عليها في أعمال خواجه نصيرالدين علي سبيل المثال، حيث يصف نوع السعادة في كتاب أخلاق الناصري، يصف النوع الثالث من السعادة على النحو التالي: "سلسلة السعادة المدنية التي تخص المجتمع والحضارة." (طوسي، ١٣٦٩: ١٥٤). من بين العوامل الفعالة في تطور الحضارات يمكن ذكر: "العلم وتطور المعرفة، والعقل والعقلانية، والبنية الاجتماعية المناسبة، والتنظيم الاقتصادي النشط، وتطوير الرفاهية العامة والعدالة، والالتزام بالتقاليد الأخلاقية، والالتزام بمبدأ الوحدة والنزاهة، والاجتماعية، وتطوير النظام الاجتماعي، والمراعاة الجماعية للقوانين الاجتماعية، واحترام حقوق

هذا الكنز الثمين، الذي يعتبر بحق تراثاً ثقافياً وحضارياً للبشر وتحدث عن قضايا معرفية مختلفة، قد تهمش السياسة والمجتمع والاقتصاد، لكنه حلال القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية بأفضل طريقة ممكنة. فتعتمد الحضارة الإسلامية، باعتبارها من أهم الفترات التاريخية وتأثيرها، على تعاليم يمكنها، إذا نُفذت بشكل صحيح، أن تفتح آفاقاً واضحة للنمو والتقدم في جميع الأبعاد للمسلمين وتحررهم من براثن التخلف والتخلف. ذروة التمجيد والتقدم. بالقوة، إذا تم أخذ النظرة التوحيدية للعالم بعين الاعتبار في مرحلة الفكر والفعل، وإيديولوجية مماثلة لها، أي العدالة الموجهة والعدالة الشاملة، والجدارة، والتقوى والمشاركة الشعبية، يتم أيضاً تطبيق الشمس المشرقة للدولة الإسلامية وسوف تبدأ الحضارة في التألق مرة أخرى، كنا نحرقها. الحكومة هي في الواقع جزء من الحكومة وهي أداة من أدوات الإدارة السياسية التي تنفذ الحكومة من خلالها عملياتها الحكومية والسياسية (برزرغر، ١٣٩١: ١٠). ووفقاً لدايسون، فإن الدولة هي إطار من القيم تندفق فيه الحياة العامة وتستخدم السلطة العامة من أجل تحقيق تلك القيم (فيرحي، ١٣٩٤: ٢١). الحضارة هي أيضاً تبلور الجهد المستمر والناجح إلى حد ما للعقل النظري والعملية للتعامل مع قوى التهديد الخارجية والنوى غير المستقرة داخل المجتمعات البشرية (صدرى، ١٣٨٠: ٢٩). لذلك تسعى الدراسة الحالية إلى دراسة واستكشاف السمات والمكونات المركزية للحضارة الإسلامية بناءً على أحد المصادر الملهمه، وهو نهج البلاغة.

حتى الآن، تم إنجاز الكثير من العمل على الخصائص الأدبية والأخلاقية والتعبدي والتعليمية والشخصية والاجتماعية لنهج البلاغة، ولكن على الرغم من العمل المنجز، إلا أن القليل منهم اعتبر نهج البلاغة أحد الأسس النظرية المعرفية في الحضارة الإسلامية. على سبيل المثال، في مقال "دور العدالة في تنمية الحضارة الإسلامية من منظور القرآن ونهج البلاغة"^١ لم يكن هناك سوى

٢. علي رضا خشنا، حامد دژآباد، "خصائص الحكم والحضارة الإسلامية من منظور أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة"، مؤتمر نهج البلاغة التخصصي بمنهج ثقافي، ١٣٩٦.

٣. بهرام اخوان كاظمي، "مُثل الحكم من منظور الإمام علي (ع)"، الحكومة الإسلامية، العدد ١٧، ١٣٧٩.

١. رضا سعادت نيا، شريف السادات امام جمعه زاده و سليمه السادات علوي، "دور العدالة في تطور الحضارة الإسلامية من منظور القرآن ونهج البلاغة"، قرآني كوثر، عدد ٥٣، ١٣٩٤، ص ١٦٩-١٨٤.

الحضارة الإسلامية من منظور نهج البلاغة.

المكونات المؤثرة في الحضارة الإسلامية من منظور نهج البلاغة

التوحيد والحكم الديني

يبدأ الدين باللاهوت والحكمة النظرية وينتهي بالإخلاص والحكمة العملية: «أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيدُه وكمال توحيدُه الإخلاصُ له» (نهج البلاغة، الخطبة ١). إن مسألة اللاهوت ليست جدية فقط ولكنها ضرورية أيضاً: «لم يُطع العُقُولُ على تحديد صفته ولم يُحجَّبها عن واجب معرفته» (نهج البلاغة، الخطبة ٤٩). إن أهم سمات الحضارة الإسلامية التي تميزها عن غيرها من الحضارات هي النظرة التوحيدية للعالم. المبدأ الأول للمعتقدات الدينية هو الإيمان بآله واحد. وبالتالي، فإن التوحيد هو أول ما يميز الحضارة الإسلامية، وهو أيضاً الشكل الأمثل والأقوى للوحدة. بما أن الإبداع والصلاح خاصان بجوهر الوجدانية: «فإن الله سبحانه وتعالى خَلَقَ الخُلُقَ حينَ خَلَقَهُم» (نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣) و«ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» (حجج: ٦٢) السيادة، سواء في موقع الخلق أو في مرحلة التشريع، هي ملك لطلاق إله الكون. وهكذا، يمكن للمجتمع أن يثور على الحقيقة، والتي تقوم على إيمان عميق بالمعرفة الإلهية، وليس الاقتصاد؛ لأن أساس المادة ليس فقط مهدئاً، ولكن عاجلاً أم آجلاً يصبح مبعثراً. إن المشكلة الأساسية للمجتمع في عصر الجهل الحديث هي الجهل بمبادئ الحضارة أو عدم التصرف بناءً عليها بافتراض الوعي. لأن الجهل والتقاعد هما العاملين المحددان لانحدار الحضارة الإنسانية. في المقابل، فإن الحضارة الإسلامية واهبة للحياة «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله ولرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ». (انفال: ٢٤) وهذا الجزء الواهب للحياة يشير إلى أن الإسلام الحضارى يلبى جميع احتياجات الإنسان بجناحين من السرد والعقل. من ناحية أخرى، لأن كل شيء صحيح بطبيعته «وكلُّ شيء قائم به» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩) ومن ناحية

الآخرين واحترامها، ودفع الحقوق المتبادلة للحكومة والشعب، وتجنب استبداد رجال الدولة ومنع الاضطهاد، وحراسة حدود الدولة الأرض وتقوية القاعدة العسكرية" (ابن خلدون، ٢٠٠٨: ٢٨٣-٢٩٧).

يمكن اعتبار فترة حياة الرسول (ص) وحكم الإمام علي (ع) أشمل مثال للحكومة الإسلامية ونموذج مثالي للحضارة الإسلامية. يعتبر نهج البلاغة بشموليته وبلاغته من النماذج الهامة للحضارة. مبادئ الحضارة وأسسها في نهج البلاغة هي مبادئ القيم التي يمكن ذكرها باعتبارها الجوهر الأساسي للحضارة. يعتمد تأسيس الحضارة الإسلامية واستقرارها من منظور الإمام علي (ع) على إدراك وشرح المبادئ والمكونات مثل كرامة الإنسان والعقلانية والعلم والمعرفة والسياسة والحكومة والأخلاق والروحانية والمبادئ مثل الدين وحرية الإنسان ووجود القيم والعدالة الاجتماعية والمساواة بين البشر وامتلاك فن هادف. فلقد أثار نهج البلاغة العديد من القضايا في كل مكون من مكونات الحضارة. على سبيل المثال، في مناقشة "العقل والعقلانية"، تمت التوصية باستخدام العقل والعقل في الشؤون عدة مرات، وآثار استخدام العقل في مختلف المجالات، بما في ذلك فيما يتعلق بالله والإنسان والطبيعة والعالم، وقد تم شرح الحياة الاجتماعية. فمثلاً من أعمال العقل والتأمل والاستبصار أن الإمام علي (ع) يقول: «لَا مَالٌ أَعُوذُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا وَحْدَةٌ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ، وَلَا عَقْلٌ كَالْتَّذِيرِ» (نهج البلاغة، الحكمة ١١٣). في مناقشة حق الإشراف وحرية التعبير، أكد الإمام علي (ع) دائماً على دور الناس في تحقيق أهداف الحكومة والأمة لأنه كان يعتقد أنه حتى يعرف الناس مكانتهم الرفيعة، لا يمكنهم ذلك. يؤدون واجباتهم الإلهية وخلافاتهم الإلهية ويمارسون حقوقهم تجاه الآخرين. يقول الإمام: «الزُّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ [عَلَى] مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِيَاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّادَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّادَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّبِّ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧). لذلك، يمكن تقديم نهج البلاغة كأحد مصادر إلهام الحضارة الإسلامية. وفيما يلي نورد وشرح أهم المكونات المؤثرة في

أخرى، لأن كل ما يعتمد على الآخرين معطل «و كلُّ قائم في سواه معلول» (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦). لذلك فالحكم لله وحده «لا لحكم إلا لله» (نهج البلاغة، الخطبة ٤٠) ثالثاً، يجب عدم مساواة الإسلام بمدارس فكرية. لأنهم يخططون فقط في مجال الفكر، ولكن الإسلام، لأنه يتعامل مع وجهات النظر والقيم العالمية، يتنوع أيضاً على تعليمات عملية، والحكومة أداة تضمن تنفيذ الوصايا الإلهية الخيرية بين العبيد (ابن خلدون، ٢٠٠٨: ١٤٢). فيما يتعلق بضرورة الحكم للحياة الاجتماعية للإنسان، يقول أمير بيان (ع) إن الناس حتماً بحاجة إلى حاكم إيمان، ولكن إذا لم تكن هذه القاعدة متوفرة، ثانياً، وجود حاكم، رغم أنه غرق في دوامة الكفر ضرورة طبيعية لإدارة المجتمع وحمائه من الفوضى والاضطرابات التي تعيق الحياة الاجتماعية: «لا بد للناس من أميرٍ بَرٍّ أو فاجرٍ يعمل في إمرته المؤمنُ ويستمتع فيها الكافرُ» (نهج البلاغة، الخطبة ٤٠). بعبارة أخرى، بافتراض عدم وجود حكومة عادلة، فإن حكومة ظالمة تحافظ على النظام الاجتماعي بأى حال من الأحوال أفضل من الفوضى والاضطراب والحياة في الغابة. لذلك، يقوم المجتمع الإلهي على النظرة الإلهية للعالم، وفي المجال التنفيذي، أول من يؤدون هذا الدين هم المعصومون، وبدرجة أقل العلماء الأتقياء الذين يحاولون تنفيذ الوصايا الإلهية وقدرتهم على التكيف. لاحتياجات العصر، ولديهم أعراف دينية. «أيها الناس إنَّ أحقَّ الناس بهذا الأمر أقرانهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه» (نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣).

هؤلاء العلماء لديهم أيضاً صلة خاصة بالأنبياء «إنَّ أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به» (نهج البلاغة، الحكمة ٩٦). من الواضح أن الخضوع للسيادة الإلهية ليس ضد تدخل الشعب في مصيره. هذه هي نفس الديمقراطية الدينية التي يقول على (ع): «لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يُقاروا على كظّة ظالم ولا سَعَبَ مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها» (نهج البلاغة، الخطبة ٣). ظهور الحضارة ممكن

عندما تنتهي الفوضى وانعدام الأمن. لأنه مع اختفاء الخوف يتم استخدام الفضول والحاجة إلى الابتكار والاختراع ويستسلم الإنسان للغريزة التي تقوده بشكل طبيعي إلى اكتساب المعرفة وتوفير وسائل لتحسين الحياة (دورانت، ١٣٧٦: ٣:١). كما طلب النبي إبراهيم (ع) من الله تعالى أن يجعل أرض الوحي مكاناً آمناً وآمناً: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا» (ابراهيم: ٣٥). لذلك فإن توفير الأمن بجميع جوانبه هو أحد الأهداف المهمة للدولة الإسلامية والحضارة. في هذا الصدد، يقدم على (ع) فلسفة الحكومة الدينية ليس للحصول على السلطة والثروة ولكن لإحياء علامات الدين، وإصلاح شؤون البلاد، وضمان أمن المظلومين وإرساء الحدود «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لردّ المعالم من دينك وتُظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من خُدودك» (نهج البلاغة، الخطبة ١٣١). وفي موطنى آخر، فلسفة تشكيل الحكومة هي ترسيخ الحق والعدالة ودحض الباطل: «و الله لم ي أحبُّ إلى من إمرتكم إلّا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً» (نهج البلاغة، الخطبة ٣٣). بدون هذه الوظيفة، تكون قيمة الحكومة أقل بكثير من قيمة الأهمية المرقعة وليس لها أبداً رغبة متصلة ونهائية. لأن الحكم ليس لقمة سمينة ولينة وسبيل ماء وخبز، إنما توكل على الله «و إنَّ عملك ليس لك بطعمة ولكنّه في عُنتك أمانة» (نهج البلاغة، رسالة ٥). من الواضح أن الهندسة المعرفية للحكام وإدراكهم للسلطة لها دور فعال في كيفية استخدامها، وأن النظرة الإسلامية للسلطة السياسية هي وجهة نظر مسؤولة وجديرة بالثقة (شاكين، ١٣٨٩: ١٤٩). ومن ليس وصياً جيداً فقد «تُمّ أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها» (نهج البلاغة، الخطبة ١٩٩). في الأساس، لا ينبغي القول بأن المواقف الاجتماعية صحيحة في نظر الشخص الذي يؤدي واجبه حقاً ولا ينوى إساءة استخدام لقبه، ولكنه في الواقع واجب؛ الحق يعني الاستعمال والفائدة، والواجب يعني الواجب (مطهري،

الأوسط لقيامه الأنبياء هو إقامة العدالة الاجتماعية: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» (حديد: ٢٥) ودر آيه كريمه «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ» (نحل: ٩٠). العدالة تعنى أيضاً العدالة الاجتماعية (طبائبي، ١٤٢٧: ١٢: ٥٢٨). وعلى هذا الأساس، إذا كان اتباع التقاليد الأخلاقية هو أحد العوامل المؤثرة في بقاء الحضارات وتقدمها (ابن خلدون، ٢٠٠٨: ١٤٢) فإن الفجور والظلم والظلم سيؤدي إلى تدمير الدولة والحضارة «و ليس شىءٌ أدعى إلى تغيير نعمة الله وتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمِظْطَهْدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ» (نَهج البلاغه، نامه ٥٣). «فإنَّ في العدلِ سَعَةً وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجُورُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ» (نَهج البلاغه، الخطبة ١٥). أى أن الفرد والمجتمع الذي لم يتم إصلاحه بالعدالة سيصبح لعبة قمع. لأن العدالة هى إطار يمكن أن يقبل الجميع، ولكن إذا انكسرت هذه الحدود وفتحت أقدام الإنسان وراء هذه الحدود، فإنها لم تعد تعرف حدوداً لنفسها بسبب طبيعتها النهمية وتصبح متعطشة إلى حد آخر عند وصولها. فيما يلي، يتم فحص فرعين فرعيين مهمين للعدالة في نهج البلاغة، وهما العدالة الاجتماعية والعدالة الاقتصادية.

العدالة الاجتماعية

من منظور، يمكن مناقشة العدالة في مجالين: ١. العدالة الفردية، وهى فئة من الواجبات الفردية وتبلورها في الأخلاق (مخزن موسى، ١٣٨٧: ١: ٢) على (ع) في منصبه وفي شرح الموقف الأساسى للعدالة، يعتبرها مخطئاً عامًا وشاملاً وشاملاً بما يشمل المجتمع بأسره: «العدلُ سائسٌ عامٌّ» (نَهج البلاغه، الحكمة ٤٣٧) وعملياً، يقول: لكم جميعاً نفس الحقوق معى «و أن تكونوا عندى في الحق سواءً» (نَهج البلاغه، رسالة ٥٠). وأساساً فلسفة قبول هذا الإمام للحكومة هى حكم القيم الدينية والثورة على العدالة: «و الله لهى أحبُّ إلَىِّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أَقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا» (نَهج البلاغه، الخطبة ٣٣). في ظل التقوى يدخل المرء بيت

١٣٨٩: ٢٨). وفي بيان آخر، يدعو الإمام على (ع) برسالة الإمام، وإبقاء التقليد حيًا، ووضع الحدود، وإعطاء نصيب المحتاج «إنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه الإبلاغ في الموعدة والاجتهاد في النصيحة والإحياء للسنة وإقامة الحدود على مستحقيها وإصدار الشهمان على أهلها» (نَهج البلاغه، الخطبة ١٠٥).

العدالة

يعتمد استقرار الحياة المادية والروحية والفردية والاجتماعية على العدالة. العدل هو القاعدة العامة والتدفق الطبيعي لحياة الإنسان، والتي بدونها تنحرف حياة الإنسان عن طريق الاعتدال والتوازن. في شرح موقف العدالة وعلاقته بجود، يشير على (ع) إلى المزايا الطبيعية والحقيقية للأفراد، وفي إشارة إلى انتشار العدالة وشمولها، يشير إلى أنها أعلى من القاضى «العدلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا» (نَهج البلاغه، الحكمة ٤٣٧). أصل هذا التقييم هو أصالة المجتمع وأولوية المبادئ الاجتماعية على المبادئ الأخلاقية (مطهري، ١٣٨٩: ١٢٨). تأتي العدالة من أصل "العدالة" التى تعنى في الكلمة المساواة والمساواة (الراغب اصفهاني، ١٤٣٠: ٥٣١) وتعنى بالمصطلح التوازن والمساواة وإنكار أى تمييز واحترام حقوق الأفراد ومراعاة الحقوق (لمزيد من المعلومات انظر: مطهري، ١٣٩٢: ١ : ٧٨-٨٤). عرّف البعض العدالة على أنها سلوك وفق القانون (جعفرى، ١٣٨٩: ٣: ١٧٩) واعتبر البعض العدالة فضيلة لا لزوم لها، أى أن العدالة ليست فضيلة مع فضائل أخرى بالإضافة إليها، بل هى ذاتها. مجموعة من الفضائل في الأخلاق يتكلمون (سروش، ١٣٨٨: ٣).

لا شك أن العدل من أهم أسباب قيام الدول والحضارات وسقوطها، كما أن الحضارة الإسلامية تقوم على التوحيد والعدالة، وازدهارها يرجع إلى تمسك الأفراد بمبادئ المبدأين من العقيدة والممارسة. بشكل عام فإن أحد المفاهيم الأساسية في مجال العلوم الإنسانية هو مفهوم العدالة، وكما جاء في القرآن الكريم فإن الهدف

على (ع) مرآت عديدة من رسول الله ص أنه لا توجد أمة ترى القداسة والطهارة إلا إذا أخذ الضعيف ولسان الحق من الضعيف بلا خوف «لن تُقَدَّس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حق من القوى غير متنتع» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣).

إن الاقتصاد السليم والمزدهر هو سبب اتساق الدين وعالم الناس؛ لأنه عندما يكون اقتصاد البلاد غير آمن، فإن الراحة والأمن والسياسة والدين والثقافة تواجه أيضًا صعوبات. لذلك، يعرف أمير المؤمنين (ع) التجار بأنهم مصدر نفع كبير ووسيلة راحة للمجتمع: «ثم استوص بالتجار ودوى الصناعات وأوص بهم خيرًا... فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق» (نهج البلاغة، نامه ٥٣) وبالطبع بالإضافة إلى هذه النصيحة واحترام أصحاب الثروات، فإنه يعطينا أيضًا مهمة النظر في محنة الفقراء ومنع تراكم الثروة في أيدي عدد قليل وتوزيعها العادل: «إن الله عبادًا يختصهم الله بالنعمة لمنافع العباد فيقرها في أيديهم ما بدلوها فإذا منعوها نزعها منهم ثم حوّلها إلى غيرهم» (نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٥). تصبح الحاجة إلى التوزيع العادل للثروة أكثر وضوحًا عندما يتعلق الأمر بالثروة العامة، أي الخزانة، التي يجب أن يتمتع فيها جميع أفراد المجتمع بحقوقهم في دخل المجتمع: «لو كان المال لى لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله» (نهج البلاغة، الخطبة ١٢٦). وينتظر المزيد من أمير الأمة الإسلامية، وفي ضوء هذا الالتزام بالعدالة يدعى عباد الله الأعظم: «فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل» (نهج البلاغة، الخطبة ١٦٤).

تصف العدالة الاقتصادية، كهدف وخاصة للحضارة الإسلامية، الوضع الذي نال فيه كل الناس حقوقهم من ثروة ودخل المجتمع (مير معزى، ١٣٩٠: ١٧٨). يعتبر التنسيق بين البناء الاقتصادي والبناء السياسي من الهياكل المهمة لبقاء هذا المجتمع (كمالي، ١٣٨٨: ٢٤٣). بالنسبة للأوصياء، يتم تحديد هذه الخاصية من خلال جوهر الكائن الأسمى ويجب استخدامها في مكانها الصحيح: «ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقه تبيذ وإسراف» (نهج البلاغة، الخطبة ١٢٦). باعتبار أن

الكرامة «و أوصاكم بالتقوى وجعلها مُنتهى رضاه وحاجته من خلقه... واعلموا أنه من يتقى الله يجعل له مخرجًا من الفتن ونورا من الظلم ويُخلّده فيما اشتَهت نفسه ويُنزله منزل الكرامة عنده» (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣). إذ إن أتقياء البشر هم أشرف: «إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم» (حجرات: ١٣). يقول القرآن: «و أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ» (شورى: ١٥) إن المعيار الحقيقي للعدالة ليس معلوماتك المحدودة وورغباتك الباطلة، فهذا معيار "الله" ربنا وأنت (جعفرى، ١٣٨٩: ١٩٣: ٣). وفي هذا الصدد يقول على (ع): قاس الله البشر وقدرهم ذات يوم وجعله لكثير من الناس ولقليل من الناس، وقسمه إلى ضيق واتساع بين المخلوقات، وأقام العدل في هذا الصدد حتى يكون من هو بوفرة. وجرب قليلاً يوماً ما، وبهذه الطريقة اختبر امتنان وصبر الأغنياء والفقراء في الأدغال: «و قدر الأرزاق فكثرها وقلّلها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليتلى من أراد بميسورها وميسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها» (نهج البلاغة، الخطبة ٩١). كما تقول: «و الله لو وجدته قد تزوج به النساء ومثلك به الإمام لرددته» (نهج البلاغة، الخطبة ١٥). لأن أفضل ما يصير عين الحكام المضيفة هو إقامة العدل في المدن وظهور حب أهل المجتمع: «و إنّ أفضل فرة عين الولاية استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣). لم يكن عادلاً فحسب، بل كان عادلاً أيضاً (مطهري، ١٣٨٩: ١٥) وحذر حكام الحكومة من الاختيار الذاتي والاحتكار «و إياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣). أما بالنسبة لصلب على (ع) في مسألة العدالة، فيكفى ذكر فلسفة قبول الخلافة بعد عثمان، واختلال العدالة الاجتماعية وانقسام الناس إلى صنفين من الثوم والجوع (مطهري، ١٣٨٩: ٢١) حيث يقول حضرة: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يُتقازوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها» (نهج البلاغة، الخطبة ٣). لقد سمع

تأديبه بلسانه» (نهج البلاغة، الحكمة ٧٣) من الناحية الاجتماعية، فإن الحكام، سواء أحبوا ذلك أم لا، لديهم نموذج يحتذى به لمجموعة واسعة من المجتمع، وشخصياتهم وسلوكهم العملي لها تأثير كبير على نموذج دور الأمة العام، لذلك على (ع) في رسالته إلى عثمان بن حنيف في البصرة يذكرنا بالواجب الجاد على إمام الأمة أنه يجب أن أشبع فقط كإمارة للمسلمين دون أن أشاركهم في تحمل مصاعب العصر؟ «أقع من نفسي بأن يُقال: هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش» (نهج البلاغة، رسالة ٤٥).

القدرات الفردية

في المجتمع الإسلامي أولئك الأكثر كفاءة في إدارة الشؤون والأكثر وعياً بالتعاليم الإلهية لديهم القدرة على حكم المجتمع: «أيها الناس إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه» (نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣). إذا لم تسود الجدارة في المجتمع لتحمل المسؤوليات، فإن هؤلاء الجهلة وغير المستحقين إما أن يذهبوا إلى التطرف أو يقعون في فخ الانحراف: «لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً» (نهج البلاغة، الحكمة ٧٠). يأمر على (ع) مالك بالتقوى الإلهية: «أمره الله بتقوى الله» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣). يمكن القول أنه لا يوجد عامل أكثر أهمية لتقوى الإدارة في الحياة الاجتماعية للناس من أن يكون الشخص المسؤول مؤهلاً تماماً لهذا المنصب وفقاً للأوامر الإلهية والأخلاقية القائمة على الفطرة السليمة والضمير الصافي (جعفرى، ١٣٩٣: ١٤٦). ورد في القرآن الكريم الجدارة في هاتين الآيتين: «قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي خَفِيفٌ غَلِيمٌ» (يوسف: ٥٥) و«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ» (بقره: ٢٤٧). في الأساس، هناك عاملين فعالين للغاية في انحراف المجتمع وسقوطه: أولاً، الاجتهاد في موضوع خارج نطاق تخصص المجتهد، وثانياً، التقليد في الأمور التي يمكن البحث عنها (الجوادى الأملى، ١٣٨٩: ٣٩٣). الشرط الآخر المطلوب لتولى المنصب هو انفتاح الصدر: «آلة الرئاسة سعة الصدر» (نهج البلاغة، الحكمة ١٧٦) ووفقاً لمعلق

الضائقة الاقتصادية والفقر يهددان بشدة حكمة المجتمع ودينه وأخلاقه: «يا بنى إني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فإن الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت» (نهج البلاغة، الحكمة ٣١٩) كما يكرر الرجل الداهية حجته: «و الفقر يُخرس القطن عن حُجته» (نهج البلاغة، الحكمة ٣). وحتى أعلى من ذلك فهي تحرم الإنسان من القدرة على الحركة: «الفقر الموت الأكبر» (نهج البلاغة، الحكمة ١٦٣).

إن مطلب الحضارة الإسلامية القائم على العدل هو أنها، باعتبارها الخدمة الأساسية للدين والشعب، يجب أن تحشد كل جهودها للتخفيف من حدة الفقر وليس فقط لمساعدة الفقراء حتى يتمتع جميع الناس بمستوى لائق في الحياة. بالطبع، تعد العدالة التوزيعية نفسها جانباً مهماً من جوانب العدالة الاجتماعية بمعناها الأوسع: «إن الله سبحانه فرَضَ في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع فقيراً إلا بما مُتِعَ به عَنِّي والله تعالى سائلهم عن ذلك» (نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٨). أساس الحضارة الإسلامية هو الإيمان، وتختلف معادلات المجتمع التوحيدي عن مدارس الرأسمالية الليبرالية الأخرى: «الزكاة نقصٌ في الصورة وزيادة في المعنى» (ابن أبي الحديد، ١٤٣٠: ٥٤٦: ٥). يعتبر على (ع) أن الصدقة هي سبب الرزق: «استنزلوا الرزق بالصدقة» (نهج البلاغة، الحكمة ١٣٧)، لأنه كان يعتقد أن هذا لم يذهب بعيداً: «من أيقن بالخلف جاد بالعطية» (نهج البلاغة، الحكمة ١٣٨). بدلاً من ذلك، تحمى ممتلكاتها من خلال خلق الأمن الاقتصادي: «حصنوا أموالكم بالزكاة» (نهج البلاغة، الحكمة ١٤٦). وفي هذه الأثناء، فإن واجب الحاكم الإسلامي أشد خطورة، وعليه أن يضع حياته في مرتبة الضعفاء والفقراء حتى لا يتسبب فقر المحتاجين في حزنهم: «إن الله تعالى فرَضَ على أئمة العدل أن يُقدِّروا أنفسهم بضعة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره» (نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٩). لأن زعيم الأمة الإسلامية، بالإضافة إلى إدارة المجتمع، مسؤول أيضاً عن التوجيه الديني للمجتمع: «من نصّب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل

نهج البلاغة، كان معاوية في ظل سعد الصدر وغزير الإنتاج، الذي حقق أهدافه (ابن أبي الحديد، ١٤٣٠: ٢٦٩: ١٨). يقول على (ع) في مجال الاستعانة بالحكماء والعلماء: من أجل تحديد ما ينظم شؤون مدينتك وترسيخ الأنظمة الجيدة التي أقامها الناس من قبل، تحدث مع العديد من العلماء وتحدث كثيراً مع الحكماء «و أكثر مذاكرة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣). ويؤكد كذلك على اختيار المسؤولين بناءً على الاختبار ويقول: «ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختياراً ولا تؤهّم محاباة وأثرة» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣).

التقوى

التقوى من أصل "الواقى" وتعنى حماية كل ما هو ضار. «وقاه أى صائه وسوّه عن الأذى» (ابن منظور، ١٩٩٧: ٤٧٩: ٦). المصطلح يعنى "الحفاظ على الذات" و"التسجيل الذاتى" (مطهري، ١٣٩١: ٢٠). التقوى تمنع طريق ازدهار المجتمع من التلوث العملى والأخلاقى. إن التقوى، كالصلاة والصوم، ليست سمة من سمات التدين، بل هى ضرورة إنسانية (المصدر السابق، ٣٠). العلاقة بين الرجل والتقوى علاقة ثنائية الاتجاه: «ألفصونوها وتَصَوَّنوا بها» (نهج البلاغة، الخطبة ١٩١). التقوى تحرر الإنسان بالدرجة الأولى أخلاقياً وروحياً، وتحرره من العبودية والعبودية، وثانياً، تحرره أيضاً في الحياة الاجتماعية؛ لأن العبودية الاجتماعية هى نتيجة النخافة الروحية (مطهري، ١٣٩١: ٣٣). لهذا السبب يعتبر على (ع) التقوى مصدراً للحرية والتحرر: «فإن تقوى الله ... عتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة» (نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٠). لذلك، من أجل النهوض بالمجتمع الإسلامى، يدعو على (ع) الأمة كلها إلى التقوى لمساعدة زعيم المجتمع الإسلامى، وفي المرحلة التالية الأمة نفسها: «ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطميره ومن طعمه بقرصيه ألا وإنكم لاتقدرون على ذلك ولكن أعينونى بوزع واجتهاد وعفة وسداد» (نهج البلاغة، رسالة ٤٥). من ناحية أخرى، وبحسب

البيان العلوى، فإن المجتمع محروم من رزقه بسبب الخطيئة: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يُصيئه» (ابن أبي الحديد، ١٤٣٠: ٥٢٦: ٥، ح ٣٣). الشر والذنوب يسببان الانحدار الاقتصادى ويغلطان باب النعم والكنوز الخيرية حتى تصل التوبة والاستغفار إلى المجتمع ويحدث انحطاط البركات والتنمية الاقتصادية: «إن الله يبتلى عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائبً ويُقَلع مُقَلعً وَيَتَذَكَّرُ مُتَذَكَّرً وَيَرْدَجِرُ مُرْدَجِرً وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سَبْحَانَهُ الاسْتِغْفَارَ سَبباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً لِحَلْقِ فَقَالَ سَبْحَانَهُ: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَمُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيِّنٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَهْمَارًا» (نوح: ١٢ - ١٠) (نهج البلاغة، الخطبة ١٤٣). بالإضافة إلى الصلاة الكاملة، يذكر أيضاً الآثام التى تغير البركة: «اللهم اغفر لى الذنوب التى تُغَيِّرُ النِّعَمَ» (طوسى، ١٤٣٠: ٦١٨). هذا الموقف مخالف لرأى أولئك الذين يعتقدون أن العلم الأخلاقى، الذى يريد أن يحكم عالمين في نفس الوقت، لن يحكم أيضاً (سروش، ١٣٨٨: ٢٨). لأن التقوى على حد سواء بانى هذا العالم وبانى هذا العالم: «فإن التقوى في اليوم الحرز والجنته وفي غد الطريق إلى الجنة» (نهج البلاغة، الخطبة ١٩١). وهذه المسألة مأخوذة من الكلمة الإلهية: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» (طلاق: ٣ - ٢). حزن على (ع) أن حكم هذه الأمة سيسقط في أيدي الحمقى، يسقطون ويحولون مال الله فيما بينهم: «و لكننى آسى أن يلى أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده حولا والصالحين حربا والفاستقين حزبا» (نهج البلاغة، رسالة ٦٢).

المشاركة الاجتماعية والسياسية

من المؤكد أن إرادة الشعب لها مكانة عالية في تأسيس النظام الإسلامى. على (ع)، متجاهلاً حقه في تولى الحكومة، يستشهد برغبة الناس في إلقاء عبء ثقيل على الحكومة: «و الله ما كانت لى في الخلافة رغبة ولا في

إعطاء حق: «و ليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته وتقدّمت في الدين فضيلته بقوق أن يُعان على ما حمّله الله من حقه ولا امرؤ وإن صغرتة النفوس واقتحمتة العيون بدون أن يُعين على ذلك أو يُعان عليه» (نهج البلاغة، الخطبة ٢١٦). وكل الأمم تريد حكومة ديمقراطية، ويؤمن بها كل الفلاسفة والمحسنين والإصلاحيين البشريين، والكتاب والشعراء الأحرار يكتبون عنها قصائد، وفي عالم اليوم هي محددة في جميع دساتير الدول، وهذا مذكور في العلويين. لقد ذهب (دلشاد، ١٣٩٥: ٣٢٤) نقلاً في ظلال نهج البلاغة، (٤:٥٤). لكن تجدر الإشارة إلى أن هذا الطلب أولاً وقبل كل شيء في سبيل الله، أي أن الله تعالى قد طلب من الحكام بذل قصارى جهدهم لضمان مصالح الناس، وفي هذه الحالة سيحاسبهم. «فإناك فوقهم ووالى الأمر عليك فوقك والله فوق من ولّك وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم ولا تنصب نفسك لحرب الله» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣). هنا يعلن الاضطهاد ضد الشعب مثل الحرب مع الله. ثانياً: تؤخذ إرادة الشعب بعين الاعتبار إلى الحد الذي لا يتعارض فيه مع إرادة الله: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» (نهج البلاغة، الحكمة ١٦٥). باختصار، المشاركة العامة، بالمعنى الحديث للديمقراطية، ليست وسيلة للصراع مع دولة دينية، وهذه الدولة قد لا تكون قادرة على الوجود أو البقاء على قيد الحياة بدون ديمقراطية. لكن المضمون والديمقراطية الأيديولوجية، التي تعترف بكل رغبة بشرية، لا تتوافق مع الدولة الدينية (شاكرين، ١٣٨٩: ١٢٧). في الأساس، في الحضارة الإسلامية التي تقبل السلطة المدنية، يجب توفير القنوات اللازمة لإمكانية التنفيذ ثنائي الاتجاه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحساسية تجاه بعضنا البعض من واجبات المسلمين التي يجب ترقية. «فأعينوني بمناصحة خلية من الغشّ سليمة من الرّيب» (نهج البلاغة، الخطبة ١١٨). «من استبدّ برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها» (نهج البلاغة، الحكمة ١٦١). لكن مشاركة الأشخاص الذين يظهرون أنفسهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها

الولاية إربة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتوني عليها» (نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٥). وهذا يدل على أن العقدة لن تنفك حتى يدخل أهلهم مجال المجتمع والسياسة ويدعو المستحقين للمساعد. ولتحقيق هذا الهدف اعتبر الرسول ص الأمة كلها قائدة ومسؤولة: «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته» (بخارى، ١٤٣٢: ٩٥٦، كتاب النكاح، باب ٩١). ومن هذا المنطلق، تعد الطبيعة الاجتماعية للإسلام سمة بارزة تجعله ديناً عملياً بنظام قانوني إنساني تاماً، حيث يؤدي الجمع بين القواعد واللوائح الفقهية مع التعاليم الأخلاقية إلى التفاعل والتفاعل بين تلك القواعد وهذه التعاليم. إن تقييد الحقوق الفردية من خلال الحقوق الاجتماعية والمصالح العامة وضمان الحسنات الجماعية مع قواعد العدالة الاجتماعية هي أمثلة مهمة على التكامل والتكامل بين مختلف جوانب الإسلام (محقق داماد، ١٣٩٣: ٣٠). إن من أهم حقوق وواجبات الأمة الإسلامية في المجال الاجتماعي والسياسي حقها، أو بشكل أدق مسؤوليتها الاجتماعية والرقابة العامة. «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (آل عمران: ١٠٤). لبناء المدينة الفاضلة، يدرّب الإسلام المواطنين الذين يتمتعون بالنعمة العلمية والفضيلة العملية ويزينون بيئتهم على أنها مدينة فاضلة. إن الأمة الإسلامية، لما لديها من حس بالمسؤولية، وبعزم وطني تسعى إلى إثبات الخير وإنكار الشر، بطاعة هذا الواجب الفاضل، تعطى الحضارة الأصلية للمجتمع الإسلامي (الجوادى الآملى، ١٣٨٧: ١٥٠: ٢٧٠). «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» (آل عمران: ١١٠). في الحكومة، يتمتع الناس بحقوقهم بشكل صحيح عندما يكونون قادرين على المشاركة في الواقع ويمكنهم أن يلعبوا دوراً في صنع القرار والإدارة الحكومية، ومراقبة عمل الحكام والتعليق والاهتمام بأرائهم (دلشاد، ١٣٩٥: ٣٤٥). وعليه، لا يوجد أحد أعلى من عدم حاجته إلى مساعدة الآخرين في إعطاء حق، ولا يقل أحد عن عدم قدرته على مساعدة الآخرين في

مراحل تشمل القلب واللسان واليدين، وكل من تجنّبها قلب مكانته الوجودية رأساً على عقب: «أول ما تُغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثمّ بألسنتكم ثمّ بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً فجعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه» (نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٥). يسعى هذا الواجب الإلهي إلى إصلاح الجماهير: «فرض الله ... الأمر بالمعروف مصلحة للعوامّ والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء» (نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٢). مما يقوى بدوره صفوف المؤمنين ويدلك أنوف الملحدّين في الأرض. «فمن أمر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين ومن نهي عن المنكر أرغم أنوف الكافرين» (نهج البلاغة، الحكمة ٣١). هذا هو النظام العملي للإسلام والحكمة الواهبة «و منهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميّث الأحياء» (نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٤) المهم أن تكون كل الحسنات والجهاد في سبيل الله مثل اللعب في بحر واسع: «و ما أعمال البرّ كلّها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجّي» (نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٤). وإذا لم تتم حماية المسؤوليات الاجتماعية والمشاركة في إصلاح الشؤون الاجتماعية بشكل صحيح، فإن الطغاة والظالمين سيسيطرون على مصير المجتمع ويسمحون بأى ظلم ويدمرون كل شيء. «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤلّي عليكم شراركم ثمّ تدعون فلا يُستجاب لكم» (نهج البلاغة، رسالة ٤٧).

الخاتمة والاستنتاجات

سجل الحضارة الإسلامية فصل لامع في تاريخ المجتمعات البشرية. وقد تحقّق تحقيق ذلك في ظل مصادر وأركان

المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة (٢٠١٥). ترجمة علي شرفاني، الفصل الرابع.

قم: دارالمعارف.

ابن أبي الحديد المعتزلي، عزالدین عبد الحمید بن هبة الله (١٤٣٠ هـ). شرح نهج البلاغة، شرح حسين العلمي.

بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

ابن خلدون، عبد الرحمن (٢٠٠٨ م). مقدمة. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن منظور، محمد (١٩٩٧ م). لسان العرب، الفصل الأول.

بيروت: دار صادر.

البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٣٢ هـ). صحيح البخاري.

بيروت: المكتبة العصرية.

الدينية، الفصل الأول. قم: دار المعارف.
 صدري، أحمد (٢٠٠١م). مفهوم الحضارة وضرورة إحيائها
 في العلوم الاجتماعية، الفصل الأول. طهران: المركز
 الدولي لحوار الحضارات وهرمس.
 طباطبائي، السيد محمد حسين (١٤٢٧ هـ). الميزان في
 تفسير القرآن، الفصل الأول. بيروت: مؤسسة الأعلمي
 للمطبوعات.
 الطوسي، محمد بن حسن (١٤٣٠ هـ). مصباح المتحجد،
 الفصل الأول. بيروت: دار المرتضى.
 الطوسي، محمد بن محمد (١٩٩٠م). الأخلاق الناصرية،
 تحرير: مجتبي ميناوي. طهران: مطبوعات خوارزمي.
 فيرحي، داود (٢٠١٥م). تاريخ تحول الحكومة في الإسلام،
 الفصل السادس. قم: مطبعة جامعة مفيد.
 كمالي، علي (٢٠٠٩م). مقدمة في علم اجتماع
 اللامساواة الاجتماعية، الفصل الثالث. طهران: سمت.
 محقق داماد، سيد مصطفى (٢٠١٤م). قانون النهج
 الإسلامي الدولي، الفصل الأول. طهران: مركز نشر
 العلوم الإسلامية.
 مخزن موسوي، سيد ابوالحسن (٢٠٠٨ م). العدالة
 الاجتماعية من منظور الامام علي (ع): استراتيجيات
 تحقيق العدالة الاجتماعية، المجلد الثاني. طهران:
 مطبوعات رسالة المؤلف.
 مطهري، مرتضى (٢٠١٠م). عشرون محاضرة، الفصل ٣٢.
 طهران: مطبوعات صدرا.
 _____ (٢٠٠٣م). جولة في نهج البلاغة،
 الفصل ٢٨. طهران: مطبوعات صدرا.
 _____ (٢٠١٢م). عشر محاضرات، الفصل ٣٦.
 طهران: مطبوعات صدرا.
 _____ (٢٠١٣ م)، مجموعة، الفصل ١٩.
 طهران: مطبوعات صدرا.
 مير معزي، سيد حسين (٢٠١١م). النظام الاقتصادي
 الإسلامي، الفصل الأول. طهران: منظمة النشر التابعة
 لمعهد الثقافة والفكر الإسلامي.
 نصر، سيد حسين (٢٠٠٥م). حوار الحضارات والعالم
 الإسلامي، رد آسيا على نظرية صدام الحضارات
 (مجموعة مقالات)، سالم رشيد، ترجمة السيد محمد
 صادق خرازي. طهران.

برزغر، إبراهيم، (٢٠١٢ م). تاريخ التحول الحكومي في
 الإسلام وإيران، الفصل ٩. طهران: سمت.
 جرداق، جورج (١٤٢٣ هـ). الإمام علي صوت العدالة
 الإنسانية، الفصل الأول. قم: ذو القربى.
 جعفري، محمد تقي (٢٠١٠م). ترجمة وتفسير نهج البلاغة،
 الفصل الأول. مشهد: مؤسسة العتبة الرضوية المقدسة.
 _____ (٢٠١٤م). حكمة المبادئ السياسية
 للإسلام، المجلد ٥. طهران: دار العلامة الجعفري للنشر.
 الجوادني الأملي، عبد الله (٢٠٠٨م). ولاية الفقيه، الفصل
 الثامن. قم: مركز إسرء للنشر.
 _____ (٢٠١٠م). المجتمع القرآني، الفصل
 الثالث. قم: مركز الإسرء للنشر.
 دلشاد طهراني، مصطفى (٢٠١٦م). تفسير نهج البلاغة،
 الفصل الأول. طهران: سمت.
 دورانتي، ويل (١٩٩٧م). تاريخ الحضارة، ترجمة أحمد آرام
 وآخرون، الفصل الخامس. طهران: شركة النشر العلمي
 والثقافي.
 ديكسون، عبدالامير (١٩٨٠م). دراسات في تاريخ الرئاسة
 العربية. بغداد: جامعة بغداد.
 راغب أصفهاني، ابوالقاسم حسين بن محمد (١٤٣٠ هـ).
 مفردات الألفاظ القرآنية، بحث صفوان عدنان
 الداودي، الفصل الرابع. دمشق: دار القلم.
 الرومي، جلال الدين محمد (٢٠٠٧م). المثنوي، تحرير عبد
 الكريم سروش، الفصل الأول. طهران: شركة النشر
 العلمي والثقافي.
 _____ (٢٠٠٧م). المثنوي، تحرير عبد
 الكريم سروش، الفصل الأول. طهران: شركة النشر
 العلمي والثقافي.
 سروش، عبد الكريم (٢٠٠٨م). الحكمة والمعيشة، المجلد ١،
 الفصل ٧. طهران: صراط للنشر.
 _____ (٢٠٠٩ م). ادب القوة، ادب العدالة،
 طباعة ٧. طهران: صراط للنشر.
 سعدي الشيرازي (٢٠١٥م). جلستان، التصحيح والتفسير
 بقلم غلام حسين يوسف، الفصل ١٢. طهران:
 مطبوعات خوارزمي.
 شاكرين، حميد رضا (٢٠١٠م). الحكومة الدينية، الفصل
 ٩. قم: دار المعارف.
 شامدي، غفار (٢٠١١م). الأسس اللاهوتية للحكومة